

الثقافة وما يتصل بها

من خلق وعلم وفن ودين

للاستاذ الدكتور منصور فهمي

(السلسلة الثانية من البحث الذي نشرنا جزءاً منه في العدد الثاني)

الثقافة والخلق

إذا كانت التعاليم الصالحة على اختلاف أنواعها تتمتع في العقول الزكية على نحو ما تتمتع البذور السليمة في الأرض الخصبة، فلا بد إذن أن يقترن الأثمار والأنتاج بالثقافة الصالحة في النفوس وكذلك في الحياة عن سبيل النفوس . وإن جمال الخلق هو خير مميزات الثقافة والتثقيف ، وإن المثل الأعلى للمثقف أن يكون حكيماً ذا خلق .

على أننا لو نظرنا في أصناف الناس لوجدناهم يختلفون من حيث صلة عقولهم وقلوبهم بالحياة فمنهم من يعيش دون تفكير في أمر وجوده ودون تبصر فيما حوله من مظاهر الوجود . قد يأكل حين يجوع، وقد يفرح حين يجد ما يفرح، ويسعى حينما يضطر للسعي والارتزاق، وهكذا يبدو على صورة وفي أسلوب لا يميزه كثيراً عن الحيوان في صلته بالبيئة التي يعيش فيها .

ومن الناس من يتوجه بفكره إلى إدراك الحقائق ومعرفة الحنون ومعرفة نفسه فيوجهون فكرهم ويكدون قراءاتهم في سبيل العلم والمعرفة وهؤلاء هم الذين تتكاثر بجهودهم المعارف وتزايد بهم المعلومات وينتفع بها . ومن طبيعة المعارف النامية المثمرة أنها تسلط أهلها على كثير من أمور الوجود يفهمهم أسرارهم ونواميسهم وتسلطهم كذلك على كثير من نزعات أنفسهم بفهمهم أسرار أنفسهم .

وعلى ذلك كان من الناس صنفاً يظهر بمظهر السادة ذوي السلطان وذلك لتأثيرهم في الحياة وفي أنفسهم وكان صنفاً آخر يظهر بمظهر العبيد لعدم قدرتهم على فهم الكون وضعفهم عن التغلب على شهواتهم وغرائزهم الدينية فيضعون أنفسهم موضع الخاضع الذي ليس له من حول ولا سلطان . وإذن فكان من شأن الثقافة أن ترفع المرء فوق مستواه أو بعبارة أخرى كان من آثار الثقافة أن تسير بصاحبها في سبيل العظمة والحكمة .

وليست المنظمة إلا الشعور الصادق في الأمور بأدراكها على حقيقتها. وليست الحكمة إلا تسيير الإرادة المستنيرة إلى طريق الخير والمنفعة الثقافية والعلم

إن أكثر ما تساق إليه لفظة العلم يكون في مظاهر الوجود المادي وفي علاقات بعض هذه المظاهر ببعض الآخر. فيقال: علم النبات والحيوان والطبيعة والكيمياء والفلك وغير ذلك من متنوع العلوم التي يجمع شتاتها نواحي هذا الوجود المادي وليس من شك في أن الإنسان الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بهذا الوجود المادي من ضوئه وهوائه ومائه وغذائه وما إلى ذلك من مختلف الظواهر التي ترتبط كل الارتباط بالحياة مسوق للعمل على معرفة نواحي هذا الوجود الذي يتصل به

لكن مع وجود هذا العلم المادي الذي تساق إليه بطبيعة مصالحنا ووجودنا يوجد علم آخر، هو علم الإنسان بنفسه وعلمه بمختلف المعلومات المعنوية التي تعينه على معرفة نفسه وهذه المعلومات المعنوية مهما تنوعت أسمائها وتعددت أساليبها ومباحثها فإنها تلتقي في الثقافة حول الإنسان. وعلى ذلك قد نرى المعارف بالجملة تحت دائرتين واسعتين: دائرة المادة ودائرة العلم الإنسانية، ونحيل إلى أن مجموعة علوم المادة لا يكون لثمارها قيمة تذكر إلا بمقدار اتصالها بحاجات النفس البشرية التي تتوق للمعرفة والعلم وتستمد منهما ضروباً من المنافع لأسعاد الناس. فموقف الإنسان من مظاهر الوجود المادي يقتضي إذن استخدامه واستخدام علومه استخدماً إنسانياً، وذلك بأن يجعل منها وسائل لترفيه شأنه وإعلاء كلمته ومن ثم تكون العلوم ذات صلة وثيقة بالثقافة إذا قدرنا أن خير ما يطلب من الثقافة هو أن يقوم الإنسان نفسه ويعمل مسلكه ويسير في الحياة على نور ويهتدى فيها بحكمة ويواصل سيره على صراط مستقيم.

الثقافة والفن

ليس الوجود قاصراً على ما فيه من مواد علمية تجر العقل للتأمل وتقتاد الإنسان للتجارب بل فيه من المواد ما تغذي به العواطف.. تلك هي مواد الجمال. وإذا كانت عواطفنا ذات أثر كبير في حياتنا العقلية وجهودنا العملية فليس من شك في أن تغذية العواطف من أهم الأمور التي يهتم لها الرجل المثقف. ويلاحظ أن شهوة العواطف للجمال وحرص الإنسان عليه يختلف باختلاف الناس واختلاف استعدادهم لذلك، فكما أنهم يختلفون في قوة عقولهم واستعدادها فكذلك

يختلفون في شدة حرصهم على مواد الجمال ووسائله ، وكذا أن الناس جميعا يساهمون في انهمم والتعقل فبكذلك هم يصيبون من الاحساس بالجمال كل بقدر . ولعل في إحساس الانسان بالجمال الميزة الظاهرة لبني آدم ، فاذا كان طالب الثقافة يدأب ويكد لجمع المعلومات واستثمارها وتزوين ذهنه بأشتاتها فإن حاجته إلى تقوية شعوره بالجمال لا ينبغي أن تكون دون حاجته إلى تقوية عامه ، وليس هنا موضع الأسهاب في كيف يربي حسن الذوق والشعور بالجمال وإنما نقول : إن في الطبيعة من حسن الألوان والاضواء والأصوات والنسب ما قد أُرشدنا إليه الفنانون وهدانا اليه الطبع السليم . وفي المصنوعات كذلك ما قد يشغف بجماله الانسان وتطيب له النفوس فما على المرء الذي يريد أن يربي حسه الذوقي إلا أن يتأمل في روعة الطبيعة والصناعة ويسترشد بالموهوبين الذين لهم قدرة على تكشف حسن الوجود ، ويعمل من جهته على أن يوفر لنفسه الأسباب التي تقوى فيه الشعور بالحسن وفي ذلك عون عظيم لتكامل الثقافة .

الثقافة والدين

وإذا تم للانسان أن يغذي عواطفه بأسباب الجمال فإنه قد يرتفع إلى مرتبة أعلى من مرتبة الحياة المألوفة ويأنس بعالم أرقى من عالم الحياة الدارجة وقد يتمشى من إحساسه بهذا العالم الأرقى إلى توكيد العواطف الدينية التي من شأنها أن تروض النفوس إلى الاذعان لحقائق العالم المتغير لعالم التجارب وعالم المشاهدة ، وهذه الحقائق قد تستنبط منها آمال في حياة هي خير من هذه الحياة وأبقى وأجمل وربما يكون الجامع المشترك بين الفنانين الذين يشعرون بالجمال وبين الدينيين الذين يعملون في حياة خير من هذه الحياة - أن كليهما لا يقتنع من الوجود بما هو عليه في ظاهره بل يعملان ويتطلوان إلى وجود خير من هذا الوجود

قد يظن بعض الناس أن الثقافة تنأى بالانسان عن الدين وربما تسرب هذا الظن إلى نفوس هؤلاء البعض لعدة أسباب منها : حسبانهم أن المنطق الذي يستخدم في الحياة العملية وفي التجارب العلمية ليس في مقدوره أن يوصل الانسان إلى حقائق أرفع وأعلى من حقائق السكون الظاهر فيقصرونه على هذه الحقائق ويقصرون أنفسهم كذلك عليها ولا يحشمونه أن يمتد إلى غيرها وكذلك لا يحشمون أنفسهم . ومنها أنهم يتأسون بأحكام بعض العلماء الذين قد تميزوا في ناحية من نواحي المعلومات لكن لم تكمل ثقافتهم فأشكل على الناس أمرهم وتمثلهم في مرتبة من العظمة الفكرية أعلى مما هم فيه فجاروهم تحت

تأثير قانون المحاكاة ، ومنها عدم القدرة أو عدم مواثمة الظروف للتأمل الفلسفي التزهي في المظاهر الكونية المختلفة أو في مظاهر الحياة الاجتماعية ، ومنها أوفي دقائق الحالات النفسية فإن وفرة التأمل والتمعن في ذلك كله قد يستدرج إلى الركون إلى المعاني الدينية الرفيعة . ونريد على ذلك أن في تغذية العواطف وسقيا الاعماق الوجدانية بمعاني الجمال لما يدفع إلى الشهور الديني كما أشرنا إلى ذلك من قبل ^{متصور فهمي}

* 89 2 3 4 5 3 *

فتاة الغم والعناية بأمرها

حضرة المربية الفاضلة السيدة نظلة الحكيم

لقد أعجبت برأى سعادة شفيق باشا ، وبفكرة مؤتمر الأسرة الإسلامية التي تسلك عنها في العدد الأول من مجلة « المعرفة » الغراء . وإني كمشتغلة بالتعليم تنسني لى فرصة الاحتكاك بمئات من بناتنا الناشئات - أرى أنه قد حان الوقت لاتخاذ خطوات حاسمة لإزاء موضوع إرشاد فتياتنا ، خصوصا وقد أصبح أمر اشتغالهن بالأعمال والوظائف العامة شيئا محققا . ولتحقيق هذا الأمر الحيوى كان من الضروري إيجاد الوسائل التي تحمى الفتاة وتحفظها من الزلل أينما ذهبت . فكلتنا نعرف تمام المعرفة أن المرأة في جميع أنحاء العالم - وبخاصة في الأمم المتأخرة في العلم والمدنية - تصادف عقبات جمة حتى في محافظتها على كرامتها التي إن تهافت فيها لانتكسب غير المادة وإن حافظت عليها لانتحسر غير للمادة أيضا في نظر العالم المادى . فنحن نريد أن نجعل للكرامة الشخصية مقابلا وتمنا غير المادة التي يتصدق بها الرئيس في العمل أو المغرى في الطريق ، ومتى فرقنا بين الاثنين وأفهمنا الفتاة أن الكرامة في حد ذاتها لا تقوم بمال ولا تسد فيها رقاب فعندئذ وعندئذ فقط نستطيع أن نجد من بيننا جيوشا للفضيلة يشيدون صرح الأسرة على أساس متين من الطهر والاخلاص والاخلاق الكريمة .

وأخيراً أكرر ثنائي على همة الاستاذ الناضل صاحب « المعرفة » وأسأل الله أن يوفقه لما فيه الخير لأفراد الأسرة الإنسانية



صورة زعيم تونس الكبير
الأستاذ عبد العزيز النجافي
(اقرأ حديثه عن «دأ الشرى الاسلامى»)